٢٠ السيدة رقية
شلت يد رجل اعترضها

فى رَبْع متسع، حوله بيوت قديمة، ذات غرفات كثيرة، وأضرحة ومساجد تناثرت هنا وهناك بحى الخليفة بالقاهرة، يستقر فى بروز ووضوح ضريح مميز، كُتب على واجهته ما يشير إلى أنه للسيدة رقية رضى الله عنها، حيث يفصل بينه وبين مسجد شجرة الدر المقابل له باب من الحجارة، محفور على أعلاه بيت من الشعرهو:

بقعة شَرُفَت بآلِ النبى وبنت الرضا على رُقية

وهذا البيت يشير إلى أن هذه السيدة الموجود رفاتها الطاهر بهذا الضريح، واحدة من آل بيت النبى وعلى وجه التحديد هى بنت الإمام على الرضا بن موسى الكاظم بن محمد الباقر، بن على زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام على والسيدة فاطمة الزهراء رضوان الله عنهم أجمعين.

هذا النسب الشريف يؤكده بالكثير من الحجج والأدلة أئمة مسجدها واحد بعد آخر، وكأنهم توارثوا هذه المعلومة المؤكدة فى تقديرهم على مر الزمن.

ويضاعف من الإحساس بمصداقية هذا التأكيد، ما اتفق عليه العامة الذين يعيشون فى هذه المنطقة، وعلى وجه التحديد حُرَّاس المقابر، وعُمَّال المدافن، إلى جانب الزائرين لهذا الضريح للتبرك به، وكأن هذه المعلومة متفق عليها بين الجميع.

وطبيعى ألاَّ يكون هناك شك فى مصداقية تواجد رفات هذه السيدة فى هذا المكان بالذات.. غير أن ما يجعل الشك قد يتطرق إلى القلب هو اختلاف بعض الكتابات التى أَرَّخت لهذه السيدة، كما أرخت لغيرها من أبناء وبنات آل البيت. ولم يكن هناك شك فيما تذهب أو تقول، لأنها موضع ثقة.

من هذه الكتابات القديمة ما يرى أنها ليست حفيدة للإمام على بن أبى طالب من حفيده الإمام على الرضا، بل هى ابنة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه من زوجة أخرى غير السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها، وأنها ـ أى السيدة رقية ـ أخت كل من الإمامين الحسن والحسين والسيدة زينب رضى الله عنهم أجمعين، هى أختهم من أبيهم، وأنها قدمت إلى مصر مع مَنْ حضروا فى صحبة السيدة زينب بعد مأساة كربلاء، وأنها استقرت هنا بمصر إلى آخر أيام حياتها ودُفنت فى هذه البقعة التى تحيط بها أعداد من الأضرحة والمشاهد والمساجد بحى الخليفة.

ولم تذكر هذه الكتابات على وجه اليقين: لماذا هذه البقعة بالذات؟ هل كانت تعيش فيها قبل الممات؟ هل كانت تمر بها؟ أو أى من الأحداث التى تشير من قريب أو من بعيد إلى اختيار هذه البقعة بالذات مكانا لدفنها؟ لم تشر هذه الكتابات التى أتيح الاطلاع عليها. وفى الوقت نفسه لانجد فى كتابات أخرى قديمة وحديثة إلى شىء من هذا. رأياً مؤداه أنها ابنة الإمام على الرضا، وينتهى نسبها إلى الإمام على والسيدة فاطمة الزهراء، كما يشير بيت الشعر المكتوب على اللوحه المثبتة على وجهة ضريحها، ويتفق عليه أئمة مسجدها مع العامة الموجودين هناك بحى الخليفه.

أما كيف ولماذا جاءت مصر؟ فقد جاءت مع من جاءوا طلباً للأمن والاستقرار، وفراراً من الاضطهاد والتنكيل الذى لاقاه أبناء الإمام على كرم الله وجهه بعد مأساة كربلاء من الأمويين أو العباسيين على وجه سواء.

ومهما كان الاختلاف بين الرأيين حول نسب السيدة رقية رضى الله عنها ومجيئها مصر، فإنهما يتفقان حول ثلاثة حقائق مهمة:

أولها: أن السيدة رقية المدفون رفاتها تحت ثرى مصر بحى الخليفه واحدة من آل بيت النبى ﷺ، فسواء كانت ابنة للإمام على كرم الله وجهه من زوجة غير السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها، أو حفيدة له باعتبار كونها ابنة الإمام على رضا.. فهى من آل البيت، ولها ما لآلِ البيت من التقدير والاحترام.

وثانى هذه الحقائق: أنها جاءت بالفعل إلى مصر واستقرت بها، ودُفنت فيها، إما فى صحبة السيدة زينب رضى الله عنها ـ على اعتبار أنها أختها لأبيها ـ أو جاءت

بعد ذلك مع مَنْ جاءوا من آل البيت فراراً من الاضطهاد والتنكيل الذى استهدف العلويين من آل البيت حتى تعقبوهم فى كل أرجاء الحجاز والعراق والشام، ولم يجدوا مكاناً أميناً يستقرون فيه غير مصر، وبين شعبها الذى يجل ويحترم آل البيت إجلالاً واحتراماً عظيماً.

لقد وصل أمر التنكيل بهذه السيدة الطاهرة ـ كما تذكر الروايات والكتابات التاريخية قديمها وحديثها ـ أنها تعرضت للقتل أكثر من مرة، وفى هذا يشير الأجهورى فى كتابه «مشارق الأنوار» مبرراً حضورها مصر ومؤكداً له، حيث قال: «إن السيدة رقية رضى الله عنها لما جاءت من المدينة المنورة اعترضها شخص من الأمويين وأراد قتلها، فوقفت يده فى الهواء وسقط ميتاً».

وهذه الرواية للأجهورى تحدد أنها جاءت فى عصر بنى أمية وليست فى عصر العباسيين.

وثالث هذه الحقائق: أن الكتب قديمها وحديثها التى تناولت ـ بالإشارة أو التفصيل ـ حياة السيدة رقية رضى الله عنها تجمع على أنها كانت من العابدات القانتات التائبات المؤمنات، وأنها كانت صَوَّامة بالنهار قَوَّامة بالليل.. طبيعة مكتسبةمن نسبها الطاهر. وأنه لهذا وذاك كان الناس يتجمعون حولها ويتبركون بها حية كانت أو متوفاة.

ولعل هذه الملاحظة لم يغفل عن ذكرها على مبارك فى خططه التوفيقية، حيث قال عن: «التكية المعروفة بتكية السيدة رقية رضى الله عنها، هى غاية فى الخفة والنورانية، وبداخلها ضريح السيدة رقية رضى الله عنها، تعلوه قبة، وبقُرْبه عدة أضرحة. وتوجد فيه قبلة مصنوعة من الخشب بنقوش غاية فى الاتقان.. كذلك توجد إلى جوار هذه التكية حنفيات وُضعت صهاريجها مملوءة بالمياه للوضوء، ويحيط بها جنينة صغيرة.. ويعمل بمسجد السيدة رقية رضى الله عنها مقرئ لآيات الذكر الحكيم، ويُقام لها ذكرٌ أسبوعى، ومولد فى كل عام.. تأكيداً لما لهذه السيدة الشريفة من تقدير لدى العامة والخاصة منذ وفاتها إلى الآن».

غير أن «على مبارك» و«الأجهورى» وغيرهما من المؤرخين والكُتَّاب لم يذكروا شيئاً عن حياتها الخاصة بمعنى هل تزوجت وأنجبت الولد أم لا؟ وفى أى عام كانت وفاتها؟! إلى آخر هذه المعلومات المطلوب تسجيلها للكتابه عن سيرة هذه السيدة الفضلى رضى الله عنها.

* * *